تطور العلوم الطبية في عهد الخلافة الأموية في الأندلس وأثرها في تقدم الحضارة الإنسانية (300-400ه/912-1009م)

The development of medical sciences during the blossoming period of the Umayyad caliphate in Andalusia

أ.د/ بلعربي خالد.
جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس
belarbi.tlemcen@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2021/05/04 تاريخ القبول: 2021/05/23 تاريخ النشر: 2021/06/30

Abstract:

Arab physicians and Muslims contributed effectively to the development of medical sciences during the blossoming period of the Umayyad caliphate in Andalusia, so they strove to develop hospitals and practise surgery, and they went even beyond that by establishing an authentic experimental approach whose great and remarkable effects were fully reflected in all aspects of medical practices in both prevention and treatment, or in health cares facilities and tools, or in the human and ethical dimensions that governed medical performance, in which they made outstanding contributions, which were on an unprecedented way, comprehensive, distinctive and corrective to the trajectory so as the observer of those eternal contributions might imagine that there was no medicine before the Muslim civilization.

The reason for that development was the result of the flourishing of the translation movement during that period and the availability of hospitals.(Bimarestan from persia origin), in addition to the role of

المنارة للاستشارات
ww

educational institutions as well. Andalusians had developed medical sciences and added a lot to them, which are still used and valid, today. Europe has then benefited from this medical development reached by the Muslims of Andalusia. So, Europe has a great impact on the development of medicine today thanks to the development reached by the Muslims of Andalucía though many European researchers have not recognized the impact of Muslims on medicine.

Keywords: Andalucía, Umayyad caliphate, medical sciences, civilization, medicine.

الملخص:

ساهم الأطباء العرب والمسلمون مساهمة فعالة في تطور العلوم الطبية خلال فترة ازدهار الخلافة الأموية في الأندلس، فعملوا على تطوير المستشفيات، وممارسة الجراحة، بل تعدَّ ذلك إلى تأسيس منهج تجريبي أصيل انعكست آثاره الراقية والرائعة على كافَّة جوانب الممارسة الطبيَّة وقايةً وعلاجًا، أو مرافق وأدوات، أو أبعادًا إنسانية وأخلاقية تحكم الأداء الطبي وقد كان لهم فيه إسهامات بارزة، كانت على نحو غير مسبوق شمولاً وتميُّزًا وتصحيحًا للمسار؛ حتى ليُخيَّل للمطَّلع على هذه الإسهامات الخالدة كأن لم يكن طبٌّ قبل حضارة المسلمين.

لقد كان سبب هذا التطور ناتج عن حركة ازدهار حركة الترجمة خلال هذه الفترة وتوفر البيمارستانات إضافة إلى دور المؤسسات التعليمية في ذلك، لقد طور الأندلسيون العلوم الطبية وأضافوا إليها الكثير و الذي لا يزال مستخدما وصحيحا حتى اليوم.

الكلمات المفتاحية: الأندلس؛ الخلافة الأموية؛ العلوم الطبية؛ ؛ الحضارة؛ الطب .

المنارة للاستشارات
ww

مقدمة:

برع أطباء الأندلس في عهد الخلافة الأموية في كافة التخصصات الطبية، درسا وممارسة وتطبيقا، وقد اتبعوا المناهج العلمية في البحث والتأليف والممارسة، وظهر دورهم الواضح في الوصف والتشخيص والعلاج، وكان ذلك راجع إلى ميل الخلفاء الأمويين الشديد إلى العناية بالعلوم والآداب والفنون، فأنشأوا المكتبات والمدارس وترجموا الكتب المختلفة، ودرسوا العلوم الطبية والكيميائية بنجاح، فتطورت الحركة العلمية، وظهر الإنتاج الغزير في كل ميدان من ميادين الحياة العلمية، لاسيما في ميدان العلوم الطبية.

وبلغت قرطبة درجة كبيرة من التقدم، تأتي على قدم المساواة مع القسطنطينية وبغداد، ووصل الطب بها إلى ذروته، وأنجبت الأندلس في عهد الخلافة عباقرة الأطباء الذين كان لهم الأثر في تطور العلوم الطبية خلال هذه الفترة وقدموا عطاءات ونتاجات شكلت فيما بعد أساسا في الطب.

وقد استفادت أوروبا من هذا التطور الطبي الذي بلغه الأندلسيون والذي كان لها الأثر البالغ في تطور الطب في الوقت الحالي رغم عدم اعتراف العديد من الباحثين الأوروبيين بأثر المسلمين على الطب.

هذا ويجدر بنا الإشارة إلى من سبقنا في دراسة هذا الموضوع المهم، فأول دراسة حسب علمنا هي تلك التي قدمها الدكتور محمد العربي الخطابي في كتابه "الطب و الأطباء في الأندلس الإسلامية" في جزئيين، إذ قدم فيه تحقيقا حول الطبيب أبي مروان ابن زهر، وقام بنشر رسالته "التذكرة" و"تفضيل العسل على السكر" و"القانون"، وذلك عام 1988م، وحقق

المنارة للاستشارات
ww

كتابه الأغذية ونشره ضمن كتابه "الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي "الصادر عام 1990م، وكذلك قام الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله بنشر دراسة عن أسرة بني زهر بعنوان : "أسرة بني زهر مدرسة رائدة" وذلك عام 1992م. كما تناول الأستاذ" نور الدين زرهوني،" الطب والخدمات الطبية في الأندلس خلال القرن السادس الهجري – الثاني عشر الميلادي" في كتابه الصادر عن مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 2006م و لكنه أغفل الكثير من الجوانب العليقة بموضوع بحثي . وعالجت الأستاذة" أمنة عودة حمزة" في أطروحتها الجامعية عن" الصيادلة والعشابون في الأندلس" ولكنها لم تذكر كل الأطباء والصيادلة في بلاد الأندلس. فتناولت ما لم تتطرق إليه في دراستها .

ولقد قسمت البحث إلى أربعة مباحث: يشتمل المبحث الأول على العوامل التي ساهمت في ازدهار العلوم الطبية في عهد الخلافة الأموية بالأندلس كالاهتمام بإنشاء المؤسسات الاستشفائية من بمارستانات وعيادات لهذا الغرض إضافة إلى اهتمامهم بحركة الترجمة التي ساعدت على اتساع آفاق الأطباء وتطوير نظرياتهم الطبية والإتيان بالجديد في علم الطب، وتركز المبحث الثاني على أبرز الأطباء الذين كان لهم دور كبير في تطور العلوم الطبية خلال هذا العصر، ثم تناول المبحث الثالث بالدراسة الاختصاصات الطبية والعلاجات العلمية بالأندلس في عهد الخلافة واشتمل المبحث الرابع حول مدى تأثير مساهمة مسلمي الأندلس في ازدهار العلوم الطبية على الحضارة الإنسانية.

اعتمدت في إنجاز هذا البحث على مجموعة من المصادر والمراجع من أهمها نذكر: ابن عذارى المراكشي (ت712هـ/1312م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، وكتاب

المنارة للاستشارات
ww

طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل(ت في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي) الذي أفادني كثيرا في ترجمة الكثير من أطباء الأندلس خلال هذه الفترة، و كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة (ت688هـ/1289م)، الذي يعد موسوعة تاريخية لا غنى عنها ساعدتني في إنجاز هذا البحث، وكتاب الوافي بالوفيات للصفدي(ت764هـ/1362م) فقد اعتمدت على تاريخ وفيات بعض الأطباء. أما بالنسبة للمراجع التي شملها قسم منها الدراسة فنذكر منها " كتاب معجم المؤلفين وتراجم مصنفي الكتب العربية" لعمر كحالة(ت 1408هـ /1987م) الذي ترجم للكثير من الشخصيات الأندلسية وكتاب" تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة بقرطبة" للسيد سالم: عبد العزيز، وغيرها من المصادر والمراجع التي أغنت البحث بأكمله.

1. العوامل التي ساهمت في ازدهار العلوم الطبية في عهد الخلافة الأموية بالأندلس.

دام حكم العرب المسلمين للأندلس ما يقارب الثمانية قرون (92 ه- 711م /897ه- 1492م) أعطى خلالها الإسلام الذي كان قد خلق توافقاً واندماجاً بين حضارتين متضادتين باستناده على فكره الكوني، وصفة التسامح لمفهومه الديني وباعتماده على قدراته الهائلة في التمثيل والإبداع، وميله المتميز إلى التجريب والاختبار، ثماراً عظيمة في بلاد الأندلس التي شهدت أهم اندماج عرقي بين الشرق والغرب، وكانت الحضارة يومها تشع من حواضر الأندلس، من قرطبة واشبيلية وغرناطة وطليطلة وبلنسية وسرقسطة .... الخ[1] .

المنارة للاستشارات
ww

وقد عاشت الأندلس خلال هذه الفترة كذلك أوضاعا سياسية صعبة غير مستقرة بسبب التكالب المسيحي عليها والفتن الداخلية التي أرهقتها، أضف إلى ذلك تعرضها للكوارث الطبيعية المتمثلة أساسا في المجاعات التي هددت حياة الإنسان الأندلسي، وقد نتج عن ذلك انتشار الأمراض وارتفاع حصيلة الموتى، حتى كان يدفن في القبر الواحد عدد من الناس دون غسل ولا صلاة[2].

إزاء هذه الوضعية الصعبة التي عاشتها الأندلس، دعت الحاجة الى الاهتمام بالحركة العلمية وبخاصة العلوم الطبية، فماهي العوامل التي ساهمت في ازدهار العلوم الطبية في عهد الخلافة الأموية بالأندلس؟ ما هي أبرز مجالات عطاء الأطباء على صعيد خدمة الطب الأندلسي في عهد الخلافة الأموية؟

وما هي أبرز التخصصات الطبية التي كانت موجودة؟ و ما مدى تأثير مساهمة مسلمي الأندلس في ازدهار العلوم الطبية على الحضارة الإنسانية في تلك الحقبة؟.

1.1. الاهتمام بحركة الترجمة:

لقد صاحبت الحركة العلمية ونهضتها في بلاد الأندلس صحوة كبيرة ونقلة نوعية في حركة الترجمة وإعادة ترتيب علوم الأولين على مناهج علمية منطقية خالية من الفلسفة اليونانية، وقد عرف عهد الخلافة اهتماما بحركة الترجمة لسائر العلوم بما في ذلك علم الطب، الذي ولي اهتماما كبيرا من طرف الخلفاء الأمويين الذين دفعوا به للاتجاه الصحيح وتطوير قدرات الطب والأطباء، لذا عكف الأطباء على خوض معركة الترجمة لكسب رهان تطوير علوم الطب لديهم وتأسيس مدرستهم المستقلة عن المدرسة الطبية المشرقية[3].

المنارة للاستشارات
ww

وبلغت ذروة حركة الترجمة في بلاد الأندلس أيام الخليفة عبد الرحمن الناصر(300–350ه/912–961م)، وقد بذل الناصر جهودا معتبرة في جمع المصنفات القديمة في علم الطب والصيدلة، وأوكل للمترجمين نقلها من لغتها الأصلية إلى اللغة العربية، لدراستها والاستفادة منها في صنع العقاقير والأدوية؛ فتكونت نخبة علمية عكفت على ترجمة قدر هائل من كتب الطب، وما أكسب العلوم الطبية دفعة كبيرة وتطورا كبيرا جلوس الأطباء المشهود لهم ببراعتهم والفهم على ترجمة إلى جانب نخبة من علماء اللغة العربية والنحويين لتقويم الألفاظ، ونقل المعارف الصحيحة ومزجها بتجاربهم الخاصة وبالتالي يقع المطلوب وإخراج علم الطب من العوالق والتراهات التي لحقت به طيلة عقود طويلة، ومن أمثلة ذلك ترجمة كتاب "الحشائش بالتصوير الرومي العجيب " لصاحبه "ديسقوريدس" الذي أرسله إمبراطور بيزنطة "قسطنطين السابع " ‘إلى عبد الرحمن الناصر كهدية، حيث قامت مجموعة من العلماء بترجمته منهم "الراهب نيقولا" العارف باللغة الإغريقية واللاتينية، ومجموعة من الأطباء الأندلسيين منهم الطبيب "حسداي بن إسحاق بن شبروط، ومحمد الشجار، ورجل يسمى البَسبَاسي، وأبو عثمان الخزار الملقب باليابسة، ومحمد سعيد الطبيب، وعبد الرحمن بن إسحاق الهيثم، وأبو عبد الله الصقلي[4].

وفي هذا الصدد يقول ابن جُلجُل:" وكان هؤلاء النفر كلهم في زمان واحد مع "نقولا" الراهب أدركته وأدركت نقولا الراهب في أيام المستنصر، وصحبتهم في أيام المستنصر الحكم، وفي صدر دولته مات نقولا الراهب، فصحّ يبحث هؤلاء النفر الباحثين عن أسماء عقاقير كتاب "ديوسقوريديس" تصحيح الوقوف على أشخاصها بمدينة قرطبة خاصّة بناحية

المنارة للاستشارات
ww

الأندلس، ما أزال الشك فيها عن القلوب وأوجب المعرفة بها بالوقوف على اشخاصها وتصحيح النطق بأسمائها بلا تصحيف إلاّ القليل منها الذي لا بال به ولا خطر له، وذلك يكون في عشرة أدوية"[5].

وقد اعتنى بهذا المصدر الثري جميع من ألّف في مفردات الأدوية عناية كبيرة ما بين شرحٍ وتفسيرٍ واستدراك يقول ابن أبي أصيبعة:" ....وهو رأس كل دواءٍ مفرد، وعنه أخذ جميع من جاء بعده، ومنه ثقفوا على جميع ".

لقد لمس علماء بمختلف مشاربهم وتخصصاتهم بالأخص هنا علماء الطب فوائد الترجمة وأهميتها في تطوير العلوم الطبية فقد كانت أهم أحد أسباب تطور هذا العلم بالأخص، فقد تحمس الكثير من الأطباء بعد ترجمة كتاب "الحشائش" لـــ "ديسقوريدوس" وظهور الفائدة لهذا الكتاب مما أشعل فتيل موجة من الحماس والتنافس العلمي بين أطباء الاندلس قاطبة لدراسة الطب والنباتات الطبية والوقوف على المزيد من أسرارها، ما أسهم في فتح أسباب تطور علوم الطب من خلال معرفة علم النبات الطبي وخصائصه في المداواة، وبالتالي أخرج الأطباء من حجرات التمريض والبيمارستانات للعمل في السهول والجبال ومعاينة انواع النباتات طبية في بيئتها الأصلية وذلك للوقوف على أهم ميزاتها العلاجية وعدم فقدها أثناء تجاربهم العلاجية، ونهج هذا السبيل الطبيب "ابو عبيد الله بن عبد العزيز البكري"(405-487هـــ/1014-1094م)[1]. والذي أسهم في كتبة كتابه المعروف بـــ "النباتات والشجيرات الأندلسية "[2] بواسطة هذه الطريقة العلمية القائمة على تجريب[6].

المنارة للاستشارات
ww

ولهذا تعد حركة الترجمة من بين الأسباب المهمة التي حركت وطورت العلوم الطبية في مجملها فيعود الفصل لله أولا، ثم للذين وقفوا على هذا العمل على توسيع مدارك العلوم ومنها علوم الطب التي ساعدت على فتح كل الآفاق ومدارك المعرفية للأطباء وتطوير مهاراتهم الطبية وابتكار طرق جديدة في المداواة وتطبيب لم تكن معروفة من قبل في العلوم الطبية، فهذا الطبيب الأندلسي ابن جلجل (ت384هـ/994م) قد ألف كتابه سماه "مقالة في الأدوية" لم يسبق استعمالها في صناعة الطب والعلاج[7]

2.1 تشجيع خلفاء بني أمية لصناعة الطب:

نبغ المسلمون بالأندلس في صناعة الطبّ وأولى خلفاء بنو أميّة(300–400ه) العناية بفئة الأطباء؛ فأحسنوا إليهم وأسكنوهم قصورهم، بالمقابل كانت حركة التأليف مزدهرة، ونلمح ذلك فيما قدمه بعض الأندلسيين في الطب، والعقاقير، والأعشاب. وكان الأطباء يتمتعون بامتيازات كبيرة ببلاط الخليفة، خصوصا إذا كانوا بارعين، ولم يكن الخليفة يهتم بالديانة التي ينتمي إليها هؤلاء، لأن المقياس الوحيد كان هو الخبرة والكفاءة .والحقيقة إن قصور اشبيلية وقرطبة كانت توفر الأرضية الخصبة للإنتاجات العلمية.

بلغت أوجه أسباب هذا التطور والاهتمام بعلوم الطب أوجها في عهد **الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر (300ه–350ه/ 912م– 961م)** حيث عرفت تجليات الحقيقية لعلوم الطب وتحرره من كل العراقيل والوصاية الكاذبة على تطوره، وبالتالي تقديم خدمات جليلة لعامة الناس وخاصتهم. وقد وصف المؤرخ ابن جلجل القرطبي حال الأندلس في عهد عبد الرحمن الناصر قائلا "تتابعت الخيرات في أيامه، ودخلت الكتب الطبية من المشرق،

المنارة للاستشارات
ww

وجميع العلوم، وقامت الهمم وظهر الناس ممن كان في صدر دولته من الأطباء المشهورين" وهذا راجع للاستقرار الذي حققه في بلاد الأندلس السياسي والرخاء الاقتصادي والثبات الاجتماعي لعامة الساكنة الأندلسية، ما خلق مناخا مناسبا لتطور جميع أصناف العلوم النقلية والعقلية وبالخصوص علوم الطب التي تعطش إليها كل من علماء الأطباء والمرضى طلبا لكليهما نجاعة الشفاء وأسرار الوصول إليه، وهذا التشجيع من طرف الأمراء للعلماء أفرزت عنه الرحلات العلمية الاستكشافية المتبادلة بين علماء الأندلس وبقية ربوع البلاد الإسلامية المغاربية والمشرقية[8].

وزاد هذا الاهتمام والحرص على الدفع بالعلوم الطبية وتوفير أسباب تطورها في عهد **الخليفة المستنصر** (350ه–366ه/961م–976م) فكان يرعى الرحلات العلمية بنفسه ويتبع أخبارها، وفتح باب بيت مال المسلمين للإنفاق على العلماء والتقرب منهم بما فيه الأطباء، ولم يفته التودد للعلماء الذين يحلون بالحاضرة قرطبة قصد تبليغ علومهم وتعليمها في مدارسها، والإحسان إليهم ويتفقد أحوالهم، ومن هؤلاء العلماء الطبيب "أبو بكر سليمان بن باج" فقد عرف عنه معرفته بصنعة الطب والإلمام بها وبأسرارها وكذا خبرته الطويلة في المداواة والتدبير الأدوية وصناعتها، ما أهله ليكون طبيب الخليفة المستنصر وطبيب القصر، فقد استطاع مداواة الخليفة من مرض رمد الذي ألم به وهذا في زمن قياسي، وهو أمر يعكس تلك الأسباب التي عملت على تطوير علوم الطب في بلاد الأندلس تحت رعاية هؤلاء الخلفاء. ومن بين الجهود المحمودة التي بذلها نذكر إنشاؤه لحديقة نباتية جمع فيها مختلف النباتات الطبية الموجودة في الأندلس، بل وأرسل عماله لمختلف البلدان لجلب النباتات النادرة؛ بيد أن الأطباء

المنارة للاستشارات
ww

الأندلسيين لم يكتفوا بالاطلاع على هذه الكتب فقط، بل عكفوا على دراستها بتعليقاتهم وتجاربهم الجديدة، فنشأ علم الطب بلمسة أندلسية[9].

3.1 . إنشاء البيمارستانات:

البيمارستان كلمة فارسية مركبة من كلمتين، أولهما بيمار ومعناها المريض، وثانيهما ستان ومعناها مقر، فالكلمة أذن تعني مقر المرضى، أو ما نسميه نحن اليوم المستشفى أو المشفى(وقد ازدهرت هذه البيمارستانات في عصر ازدهار الحضارة الإسلامية ازدهارًا كبيراً، فتعددت أنواعها، فكان منها من هو خاص بعلاج الأمراض العقلية والجذام، ومنها ما هو عام لجميع الأمراض، حيث انتشرت هذه البيمارستانات في شتى بقاع الإمبراطورية الإسلامية، من بغداد شرقاً، إلى بلاد المغرب والأندلس غرباً، كما عمت هذه البيمارستانات بلاد الشام ومصر، حتى السجون كان الأطباء يدخلونها لعلاج المرضى فيها[10].

اهتم خلفاء بني أمية في الأندلس بتطوير علوم الطب، و رغم كثرة الوثائق التاريخية التي أرخت للأندلس إلا أنها صمتت عن تزويدنا بالبيمارستانات التي كانت مكانا لتطبيب المرضى، ولكن لا مجال للشك أنهم أسسوا المشافي أو البيمارستانات نظرا للاهتمام العالي بالطب بالأندلس خلال هذه الفترة و الثقافة الطبية التي كانت سائدة في الأندلس، لقد كانت البيمارستانات توفر جوا مناسبا لممارسة الطب وملتقى الأطباء لفهم ووضع أسس علاجية للمرضى، والكشف عنهم، خصوصا أن الأندلس في عهد الخلافة كانت تشهد تطورا يجدد صرح وحضارة بني أمية في المنطقة موازيا للعباسيين في حاضرة بغداد وعموم المشرق[11].

المنارة للاستشارات
ww

ومع ذلك قد أغفلت المصادر الأندلسية عن تزويدنا بأسماء البيمارستانات في بلاد الأندلس خصوصا في فترة عهد الخلافة الأموية، ماعدا من وجود إشارات عن ربض من أرباض قرطبة سمي بربض الطب. وكما هو معلوم أن بلاد الأندلس أرض جهاد وخط دفاع عن بيضة الإسلام في الغرب الإسلامي في مواجهة الممالك النصرانية في الشمال، فكان لزاما عليها إنشاء مثل هذه البيمارستانات لمواكبة العلاج للمصابين ميدانيا ثم إلحاقهم بهذه المنشآت لتلقي العلاج والاستشفاء على يد أطباء مهرة. وقد بلغ عدد بيمارستانات في حاضرة قرطبة لوحدها خمسين بيمارستانا في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، ومنهم من وزع هذا العدد على حواضر الأندلس مثل "غرناطة' ومرسية، وطليطلة، واشبيلية"، وبالتالي نافست الأندلس قدراتها وتقدمها الطبي حاضرة الخلافة بغداد على عهد هارون الرشيد. مع العلم أن هذه البيمارستانات كانت أماكن للعلاج والدراسة أيضا[12].

1–4تشجيع البعثات العلمية التطويرية:

كانت أولى الرحلات العلمية الطبية التطويرية في عهد الخليفة الناصر إلى الشرق في القرن الرابع الهجري(10م)، زمن تلك الرحلات العلمية رحلة الطبيبين أحمد يونس الحراني وأخيه عمر، اللذين تتلمذا على أعلام الطب في بغداد وتخصص أحدهما في طب الكحالة(طب أمراض العيون)، سافرا في طلب العلم في عهد الخليفة الناصر لدين الله، وكانت سنة الرحلة سنة330ه،عشرة أعوام كاملة في طلب العلم، وفي بغداد تتلمذا على يد أطباء مشهورين من أمثال الطبيب ثابت بن قرة(ت365ه) ودرس على يديه كتب جالينوس في الطب، وتتلمذا أيضا على يد طبيب العيون ابن الصاري و بعد أن أكملا المدة المقررة في طلب العلم في بغداد

المنارة للاستشارات
ww

رجعا إلى الأندلس سنة(365ه) في خلافة الحكم المستنصر بالله الذي ألحقهما بخدمته وأسكنهما مدينة الزهراء و طلب منهما نشر ما تعلماه من علوم الطب الاختصاصي وأصبحا من أعيان الطب في الأندلس في عهد الخلافة[14].

2. أبرز الأطباء الذين كان لهم دور كبير في تطور العلوم الطبية خلال هذا العصر وآثارهم الطبية:

حفظت لنا كتب التراجم أسماء العديد من الأطباء الذين كان لهم دور بارز في تطور العلوم الطبية بالأندلس في عهد الخلافة وقد زهت الأندلس في أيام الناصر بأعيان الأطباء، ثم اتّسعت دائرة هذا العلم في عهد المستنصر وهشام المؤيد بن المستنصر، وكانت مهنة الطب تمارس إلى جانب القضايا الأخرى أحياناً. لذا نجد أسماء اشتهرت في الفلسفة والأدب لكنهم كانوا يحسبون أطباء ومن أبرز الأطباء نذكر:

–عمران بن أبي عمر (عاش في القرن الرابع الهجري/10م) :

خدم الخليفة الناصر لدين الله بالطب وألف له كتابا في "حب الأنيسون"، ومختصر لعلاجات بعض الأمراض تدعى بالكناش[15].

–محمد بن طملون:

برع هو الآخر في الطب بالأندلس في عهد الخلافة اشتهر بعلاجاته الطبية رفض الخدمة الرسمية كطبيب في البلاط الرسمي حيث ظل حرا يرجع اليه الناس لطلب خدماته الطبية اشتهر بتكوين نوع من المراهم المستخلصة من النباتات الطبية له تأثير فعال في شفاء القروح[16].

المنارة للاستشارات
ww

–ابن السمينة (ت 315ه/927م):

يحي بن يحي المعروف بابن السمينة، من أطباء قرطبة، كان بصيرا بالحساب والنجوم والطب، متصرفا في العلوم، متقدما في علم الهيئة وحركات النجوم، بارعا في علم النحو واللغة والعروض والفقه والحديث، واكتسب ابن السمينة هذه العلوم والمعارف من خلال رحلته المشرقية إذ تتلمذ على ذوي الاختصاص في تلك العلوم، ثم عاد إلى الأندلس واستفاد منه أهل الأندلس في الطب[17] .

–محمد بن عبدون الجبلي العذري:

ارتحل إلى المشرق سنة 347ه/958م، ثم ارتحل إلى الفسطاط بمصر، وتولى إدارة مارستانها، وتمهر بالطب وبرع فيه، وأحكم كثيرا من أصوله، واعتنى بصناعة المنطق غايته الصحيحة، ثم رجع إلى الأندلس سنة 360ه، وخدم بالطب الخليفة المستنصر والمؤيد بالله، وكان قبل أن يتطبب مؤدبا بالحساب والهندسة، وله في التكسير كتاب حسن، قال عنه ابن صاعد الأندلسي " إنه لم يلقى في قرطبة أيام طلبه فيها من يلحق بمحمد بن عبدون الجبلي في صناعة الطب ولا يجاريه في ضبطها، وحسن درايته فيها وإحكامه لغوامضها"[18]

–أحمد بن يونس وأخوه عمر، ابنا يونس بن أحمد الحراني:

وقد سبق الحديث عنهما حيث تخصصا في علم الكحالة(طب العيون).

–حسداي ابن إسحاق:

اعتنى بصناعة الطب، وخدم الحكم المستنصر بالله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله، ساهم في اثراء الطب ببعض المؤلفات في الترياق(البنج المخدر) الذي يستعمل في العمليات

المنارة للاستشارات
ww

الجراحية و برع كذلك حسداي ابن إسحاق في إجراء دراسة ميدانية على النباتات المقاومة للسموم و قد صرف في سبيل ذلك جهدا كبيرا[19].

–عمر بن حفصون:

كان طبيبا فاضلا قارئا للقرآن مطرب الصوت، كانت له رحلة إلى القيروان إلى أبي جعفر بن أحمد بن إبراهيم بن خالد بن الجزار، حيث لزمه مدة ستة أشهر، وهو الذي أدخل إلى الأندلس كتاب زاد المسافر الذي نقل فيما بعد إلى اللغة اللاتينية على يد قسطنطين الإفريقي؛ نبل وخدم بالطب الخليفة الناصر، وكان نجم بن طرفة صاحب البيازرة قد استخلصه لنفسه، وقام به وأغناه وشاركه كل دنياه[20]

–أبو القاسم أسد الجذامي:

كان من بين أبرز الأطباء في فترة الخلافة الأموية بالأندلس، ارتحل إلى المشرق في عهد الحكم المستنصر لتعلم أساسيات الطب وقواعده المهمة على يد أساتذة الطب في المشرق الإسلامي، في حين كان للأطباء الأندلسيين القادمين من المشرق الإسلامي بعد إتمام دراستهم العلمية أثر كبير في تطور الطب في عهد الخليفة المستنصر، توفي سنة 360ه/970م[21].

–أبو القاسم خلف ابن العباس الزهراوي:

يعد بحق من مفاخر العلم و الطب في الأندلس خلال عهد الخلافة والذي قال عنه العالم الفقيه ابن حزم الأندلسي(ت400ه–1009م) في رسالته الشهيرة" في فضل الأندلس وذكر رجالها" حيث قال في معرض تعداد مؤلفات الأندلسيين في الطب"، وكتاب التصريف لمن عجز عن التأليف لأبي القاسم خلف ابن عباس الزهراوي، قد أدركناه و شاهدناه، و لأننا

المنارة للاستشارات
ww

قلنا أنه لم يؤلف في الطب أجمع منه ولا أحسن للقول العمل في الطبائع لنصدقن..."، وقد ألف كتابه هذا بعد مزاولته الطب و الجراحة خمسين سنة من حياته المهنية، لقد بذل الزهراوي عناية فائقة لسلامة مرضاه وكسب ثقتهم، ومن هنا أكد على العلاقة بين الطبيب مريضه، إن علم الجراحة مدين للعرب بكثير من المبتكرات الأساسية التي جاء بها الزهراوي حتى عدت مرجعا للدراسة في كليات الطب إلى وقت قريب جدا. و يوضح الطبيب الفرنسي"لوسيان لوكليرك" نصا عن كتاب(تاريخ الأدب بفرنسا) مبرزا الدور الذي قام به الزهراوي في ازدهار الجراحة عند الأوروبيين قائلا:" إن في تاريخ الجراحة في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي أمر جدير بالاهتمام ذلك أن كثير من الأطباء الايطاليين غادروا أوطانهم على اثر الفتن...وجاءوا إلى فرنسا يجتمعون بأرضها وجلبوا معهم مؤلفات(أبي القاسم الزهراوي) وتعاليمه الطبية، ذلك الطبيب الذي يعد مجدد العلوم الطبية...ولا نندهش إذا وجدنا المدارس الفرنسية تضع (الزهراوي) في صف واحد مع جالينوس وأبقراط ليكون معهما الثالوث العلمي"[22].

–ابن عبد ربه أبو عثمان:(ت342ه–953م):

كان طبيبا فاضلا له في الطب رجز يدل على تمكنه من هذا العلم، قال ابن جلجل: "حدثني عنه سليمان ابن أيوب الفقيه، قال: اعتللت فطاولتني الحمى و أشرفت منها، إذ مر بأبي و هو ناهض إلى صاحب المدينة أحمد بن عيسى، فسأله عن علتي واستخبر أبي عما عولجت به، فسفه علاج من عالجني، وبعث إلي بثماني عشر حبة من حبوب مدورة، و أمر أن أشرب منها

المنارة للاستشارات
ww

كل يوم حبة، فما استوعبتها حتى اقتلعت الحمى وبرئت..." من مؤلفاته في الطب نذكر"كتاب الإقراباذين"،"كتاب أرجوزة في الطب"، و"كتاب تعليق و مجريات في الطب"[23].

–أبو بكر بن سليمان بن باج:

كان في دولة عبد الرحمن الناصر(300–350ه–912–962م)، وطبيب عيون عالج الخليفة الناصر من الرمد، كان يقوم بتحضير الأدوية بنفسه.

–عريب بن سعيد القرطبي:(ت370ه/980م)

كان بارعا في طب الأسنان، من أهم أعماله الكبيرة" كتاب خلق الجنين و تدبير الحبالى والمولودين " الذي يعتبر قمة التطور الطبي و أعظم عمل قدم للحضارة الإنسانية نظرا لغزارة المعلومات الموجودة فيه من جهة وقمة الإبداع فيه من جهة أخرى، حيث يشتمل على عملية حدوث الحمل و كذلك تدبير الجنين و الوليد و الطفل،واحتوى الكتاب على خمسة عشر بابا وما يخص الأسنان فيها مراتبها و درجاتها وحدتها[24].

– يحي ابن إسحاق القرطبي:

وهو من الأطباء النصارى ثم أسلم، ألف في الطب كتابا متكون من خمسة أسفار على مذهب الروم في الطب أمد به المكتبة الأندلسية كي يكون مرجعا علميا للأطباء في الأندلس، كان محل ثقة الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله اشتهر بصناعة اليد حتى عد من شيوخ الأطباء الأندلسيين[25].

المنارة للاستشارات
ww

–أصبغ بن يحي:

نال شهرة عالية في عهد الخليفة الناصر لمهارته في صنعة الطب وبراعته في علاج الكثير من الأمراض و تركيب الأدوية وقد ألف للخليفة في حبة الأنيسون.

–أبو جعفر احمد بن إبراهيم بن أبي خالد ابن الجزار(توفي سنة400هـ /1009م):

من أهل القيروان طبيب ابن طبيب وعمه أبو بكر طبيب، كان ابن الجزار من أهل الحفظ والتطلع والدراسة للطب ولسائر العلوم حسن الفهم لها. له كتاب في علاج الأمراض، ويعرف ب"زاد المسلم " في مجلدان، في الأدوية المفردة، كتاب في المعدة وأمراضها ومداواتها. كتاب طب الفقراء. رسالة في إبدال الأدوية. كتاب في الفرق بين العلل التي تشتبه أبوابها وتختلف أغراضها. رسالة في التحذر من إخراج الدم من غير حاجة دعت إلى إخراجه رسالة في الزكام وأسبابه وعلاجه. رسالة في النوم واليقظة. مجربات في الطب، مقالة في الجذام وأسبابه وعلاجه. كتاب في نعت الأسباب المولدة..رسالة في المقعدة وأوجاعها ..كتاب البلغة في حفظ الصحة. مقالة في الحمامات [26].

–سليمان بن جلجل:

يعد من أبرز الأطباء الأندلسيين ممن كان لهم دور فعال في ازدهار الطب ورقي دراساته، كان طبيب الخليفة هشام الثاني (976 ــ 1009م)، اشتهر ابن جلجل بدراساته العميقة في الطب والصيدلة، وصنف تاريخاً للعلماء والأطباء بالأندلس في عصره، كما فسّر أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدس، وأوضح ما غمض منها من كتاب له سماه

المنارة للاستشارات
ww

«كتاب تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدس»، ألّفه في شهر ربيع الآخر سنة (372ه/ 982م) بمدينة قرطبة[7].

إضافة لكل هؤلاء الذين ذكرناهم، فهناك الطبيب بن أم البنين، من أطباء عهد الناصر لدين الله، كان خبيرا في صناعة الأدوية ومعالجة الأمراض، والطبيب أبو عبد الملك الثقفي الذي كان ماهرا في الطب، والطبيب أبو بكر سليمان بن تاج الذي أتقن تراكيب الأدوية في الوصفات الناذرة في الطب واستنبط طرق جديدة لعلاج الرمد في العين، كما ابتكر مراهم وسوائل علاجية مستخرجة من الأعشاب والنباتات الطبية، منها دواء مسكن لعلاج عرق النسا، ودواء لعلاج أمراض الأذن، وعلاج ضيق التنفس. والطبيب أبو الوليد الكتاني(ت بع358ه) الذي كان بارعا في الطب، والطبيب محمد بن تمليح(ت361ه/971م) من الأطباء الذين كان لهم حظوة عند الخليفة الناصر صنف كتابا موسوما ب" الأشكال في علامات الأمراض وأعراضها".

3–الاختصاصات الطبية والعلاجات العلمية في الأندلس في عهد الخلافة:

تنوعت مجالات الاختصاصات الطبية في الأندلس في عهد الخلافة، تبعا لتنوع الخدمات الطبية التي قدمها أطباء الأندلس للمرضى من الأندلسيين، وقد أخذت هذه الخدمات الطبية في تزايد نظرا للازدهار الذي عرفته الأندلس في كافة الميادين، حيث أصبح الطب في بلاط خلفاء الأندلس من أرفع العلوم شأنا وأسماها مقاما، وكان أطباء بلاط الخليفة الناصر لدين الله الطبيب ابن أم البنين وكذلك الطبي(ت بعد358ب أصبغ بن يحي، والطبيب أبو الوليد الكتاني الذين قدموا خدمات طبية له ولأفراد أسرته، واستمر هؤلاء في تقديم خدمات

المنارة للاستشارات
ww

جليلة لابنه الخليفة الحكم المستنصر بالله، الذي استفاد من خدمة أطباء آخرين مثل الطبيب أبو عبد الملك الثقفي، وحسداي ابن إسحاق، واستفاد الخليفة هشام المؤيد بالله من خدمات الطبيب أبو داود سليمان بن جلجل[28].

كما حظي عموم الأندلسيين بالرعاية الطبية فقد قام طبيب الخليفة الناصر بمعالجة رجل بدوي جاءه شاكيا من أحد أعضائه الحساسة فعالجه دون تردد، وكان الطبيب أحمد بن يوسف الحراني مسؤولا عن الخزانة الطبية في قصر الخليفة الحكم المستنصر و قد استأذن الخليفة المستنصر في صرف الدواء على الرعية من الفقراء والمحتاجين مجانا، كما اهتم أبو الوليد الكتاني بعلاج مرضى العامة[29].

ومن الاختصاصات الطبية في عهد الخلافة بالأندلس نذكر الكحالون والجراحون والطبائعيون والمجبرون، كما وجد من مارس طب الأسنان وطب النساء وطب الأطفال، والطب النفسي العقلي وكانت جل هذه الاختصاصات خاضعة لرقابة الدولة الممثلة في شخص المحتسب وأعوانه.

وقد اتبع أطباء الأندلس في عهد الخلافة عددا من الأساليب والطرق العلاجية في علاج المرضى والتي اختلفت بحسب نوعية المرضى، ومن أهم طرق العلاج نذكر، العلاج بالأدوية المفردة والمركبة حيث توصل الأطباء الأندلسيين إلى صنع عدد من العقاقير الدوائية لعلاج شتى الأمراض التي كان يعاني منها المرضى، حيث كان من بين تلك الأدوية ماهو (مفرد في تركيبه الدوائي) وماهو (خليط دوائي مكون من أكثر من عنصر)، وكان تحضير الأدوية يتم بوسائل مختلفة كالطبخ والسحق والتحميص والإجماد بالتبريد وبالمجاورة عن طريق وضع الدواء

المنارة للاستشارات
ww

إلى جانب الآخر لتنظيف العقاقير من الشوائب والتحليل بالمياه. كما كان هناك العلاج بالعقاقير، واستفاد الأندلسيون من تنوع طبيعة بلادهم وغناها بالعديد من الأعشاب و النباتات لعلاج مرضاهم بالأعشاب والنباتات الطبية فاستخدموا نبات" الفاونيا" في علاج الصرع، واستفادوا من عصارة ورق(السلق) في علاج القروح التي تصيب الرأس[30].

ومن الحق أن نقول أنّه برز في الأندلس أعداد كبيرة من الأطباء بذلوا جهوداً مثمرة في ميدان الدراسات الطبية.

4–مدى تأثير مساهمة مسلمي الأندلس في ازدهار العلوم الطبية على الحضارة الإنسانية:

لقد أثرت الإنجازات العلمية للأطباء في الأندلس على أوروبا و تطورها التي خرجت من ظلمات الجهل إلى نور العلم المشع، و نالت قرطبة الشهرة العلمية العالمية في مجال الطب، لقد كان لازدهار الطب خلال فترة الخلافة الأموية في الأندلس، وما أبدعه علماء الطب من ابتكارات وانجازات علمية طبية في علاج الأمراض من الجراحة وغيرها وطرق العلاج بالأدوية المفردة والمركبة، والأجهزة الجراحية والتقنية الطبية تأثيره المباشر على التطور العلمي والحضاري في أوروبا والغرب فيما بعد، بعدما أصبح التراث الطبي الأندلسي منهلا ومصدرا للطب الأوروبي وظل معظمها يدرس في الجامعات الأوروبية[31].

إن الأندلسيين هم أول من مارسوا عمليات الجراحة في العالم إطلاقاً، ووضعوا المؤلفات فيها وفي طرقها، والأمراض التي يجب استئصالها والآلات والأدوات التي تستعملوهم أول من اكتشفوا وسائل التخدير، وأنشأوا المستشفيات، وقسموها قسمين: قسم للرجال والنساء، وقسموا كل قسم إلى أقسام على حسب المرض، وأقاموا المعازل لعزل المرضى

المنارة للاستشارات
ww

المصابين بأمراض معدية بل ان لهم الفضل في إنشاء المستشفيات المتنقلة وقد ذاعت شهرة أطباء الأندلس وغيرهم، حتى وفد بعض ملوك الأسبان إلى أطباء الأندلس لعلاج ما استعصى من أمراضهم.

وقد ثبت لدَى كثير من المنصِفين – من مستشرقين وعلماء – أن للأطباء الأندلسيين فضل كبير في إنقاذ الطب من الضياع، وثبت لديهم أن أوروبا إنما تقدَّمت بالإضافات الكبيرة التي أضافها هؤلاء للطب، والتي نُقلت إلى أوروبا، وكان لها دورها في تقدم المدنية الأوروبية، ويؤيِّد هذا كمستون (Camesten) في قوله: "إنه **لو لم يكن للمسلمين غير هذا الفضل في الإنقاذ لكفاهم خدمة وفخرًا**"؛ أي في الإنقاذ من الضياع، لقد رفع الأطباء في الأندلس في عهد الخلافة الأموية من شأن الطب، بل و في جعل الجراحة قسمًا منفصلًا عنه، وفي إنشاء المستشفيات والتنقُّل فيها، وفي التصريح الشرعي لممارسة الطب والصيدلة.هذه الأخيرة التي طوَّروها وخدموا أسسها، وهم أول مَن أنشأ مدارسها، واستنبطوا أنواعًا من العقاقير، وامتازوا في معرفة خصائصها وكيفية استخدامها لمداواة المرضى، كما أعطوا من النبات موادَّ كثيرةً للطب والصيدلة[32].

وتعترف المستشرقة الألمانية "سيجريد هونكة" بفضل العرب على أوروبا في مجال الطب مؤكدة على أن العرب هم أساتذة أوروبا بمؤلفاتهم العظيمة، لا سيما في مجال الطب، والتي تخرج عليها عدد كبير من الأجيال من العالم المسيحي، ويؤكد الطبيب الإنجليزي دونالد كامبل(Donald campbell) في كتابه القيم الطب العربي" أن الجراحة في الأندلس كانت تتمتع بسمعة أعظم من سمعتها في باريس أو لندن أو أدنبره ذلك أن ممارسي مهنة الجراحة في

المنارة للاستشارات
ww

سرقسطة كانوا يمنحون لقب طبيب جراح، أما في أوروبا فكان لقبهم حلاق جراح، وظل هذا التقليد ساريا حتى القرن العاشر الهجري"[33].

لقد حازت إنجازات الأطباء الأندلسيين في عهد الخلافة على اهتمام أطباء أوروبا فيما بعد حيث جاءت انجازاتهم في وقت لم يعرف فيه العالم شيئا اسمه الكتابة.

لقد قدم الأطباء الأندلسيون خدمات جليلة امتدت إلى يومنا هذا فقد تقدم الأندلسيون في علم التشريح باعتبار ما كان يمثله من دعوة للمسلمين إلى التجربة والمشاهدة والنظر الدقيق كمنهج علمي للوصول إلى الحقائق الطبية والتخلص من التخرصات التي لا تقوم على دليل أو برهان، وهنا يتركز فضلهم في التوسع فيه وقيامه على الدقة والمشاهدة والتحليل العميق.

فضلا عن ذلك فقد حقق الطب الأندلسي تقدما كبيرا في مجال الجراحة كما تطرقنا لذلك سالفا فمارس الأطباء جراحة العظام والسرطان وما تبع ذلك من استحداث مواد وطرق جديدة لخياطة الجروح وتعقيمها في التخدير أثناء العمليات الجراحية.

ولعل من مظاهر تأثير مساهمة مسلمي الأندلس في ازدهار العلوم الطبية على الحضارة الإنسانية، تلك الآلاف من المخطوطات الأندلسية في شتى فنون المعرفة ومنها الطب التي ما تزال محفوظة إلى الآن في مكتبات صقلية عامة و باليرمو خاصة .

خاتمة:

من خلال ورقاتنا البحثية يمكننا القول أنّ عهد الخلافة الأمويّة عُدّ من أزهى العصور إطلاقاً، والذي عرف ازدهارا في جميع الميادين؛ خاصة صناعة الطبّ ولا غرو أن نؤكد ذلك

المنارة للاستشارات
ww

بروز أطباء ذاع صيتهم في العالم الإسلامي، والأوروبي آنذاك، على غرار ابن أصيبعة، ابن جلجل، والزهراوي بالإضافة إلى العديد من علماء الطب الذين بلغت مؤلفاتهم الطبية العشرات واستطاعت أن تُثبت للأوروبيين مدى أهمية العلم والعلماء المسلمين، وما زاد أهمية الطب في عهد الخلافة؛ الرحلات الفكرية والاستزادة من كتب الطب اليونانية كمقالة ديوسقوريديس التي قام بترجمتها علماء الأندلس، و لم يكتفوا بما جاء في مضمون كتب ديوسقوريديس؛ بل راحوا يضيفون دراساتهم وتجاربهم باكتشاف ترياقات وأدوية خدمت البشرية، والواقع أنّ هذا الحافز والانجاز كان من وراء تشجيع الخلفاء وتوفير كافة السبل لممارسة صناعة الطب وتحسين ورعاية المرضى ببناء مؤسسات استشفائية كالبيمارستانات لتكون صرحاً لإنجازاتهم الطبية وتجاربهم.

الهوامش:

1–محمد بشير حسن راضي العامري، إبداعات الطب والصيدلة في الأندلس، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.س، ص107.

2– عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ط، د. ت، ص 207.

3– محمد بشير حسن راضي العامري، نفسه، ص111.

4–نفسه، ص114.

5–عبد العزيز سالم، نفسه، ص211.

6–نفسه، ص226.

7– ابن جلجل سليمان بن حسان، طبقات الأطباء والحكماء، تح فؤاد السيد، القاهرة، د.ط، 1955، ص 100–101.

8–عبد العزيز سالم، نفسه، ص226.

المنارة للاستشارات
ww

9–محمد بشير حسن راضي العامري، نفسه، ص119.

10– بالنثيا أنخل، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ط، 1955، ص220.

11– نفسه، ص224.

12– ليفي بروفنسال، حضارة العرب في الأندلس، ترجمة: ذوقان قرقوط، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، د.ط، د س، ص289.

13– عبد العزيز سالم، نفسه، ص230.

14– ليفي بروفنسال، نفسه، ص294.

15– نفسه، ص296.

16– عبد العزيز سالم، نفسه، ص233.

17–ابن جلجل، نفسه، ص104.

18– البشري عبدالله صالح سعد، الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس(316–422ه / 928–1030م)، رسالة ماجيستر جامعة أم القرى، السعودية، د.ط، 1982، ص119.

19– نفسه، ص165.

20– ابن جلجل، نفسه، ص136.

22– نفسه، ص166.

23– نفسه، ص167.

24– – أحمد محمد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ط، 1997م، ص236.

25– نفسه، ص239.

26– ليفي بروفنسال، نفسه، ص119.

27– ابن جلجل، نفسه، ص220.

28– عبد العزيز سالم، نفسه، ص110.

29– أنخل بالنثيا، نفسه، ص200.

المنارة للاستشارات
ww

30– نفسه، ص211.

31–ابن جلجل، نفسه، ص239.

32– نفسه، ص288.

33– نفسه، ص311

المنارة للاستشارات
ww